

68

قصص الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (12)

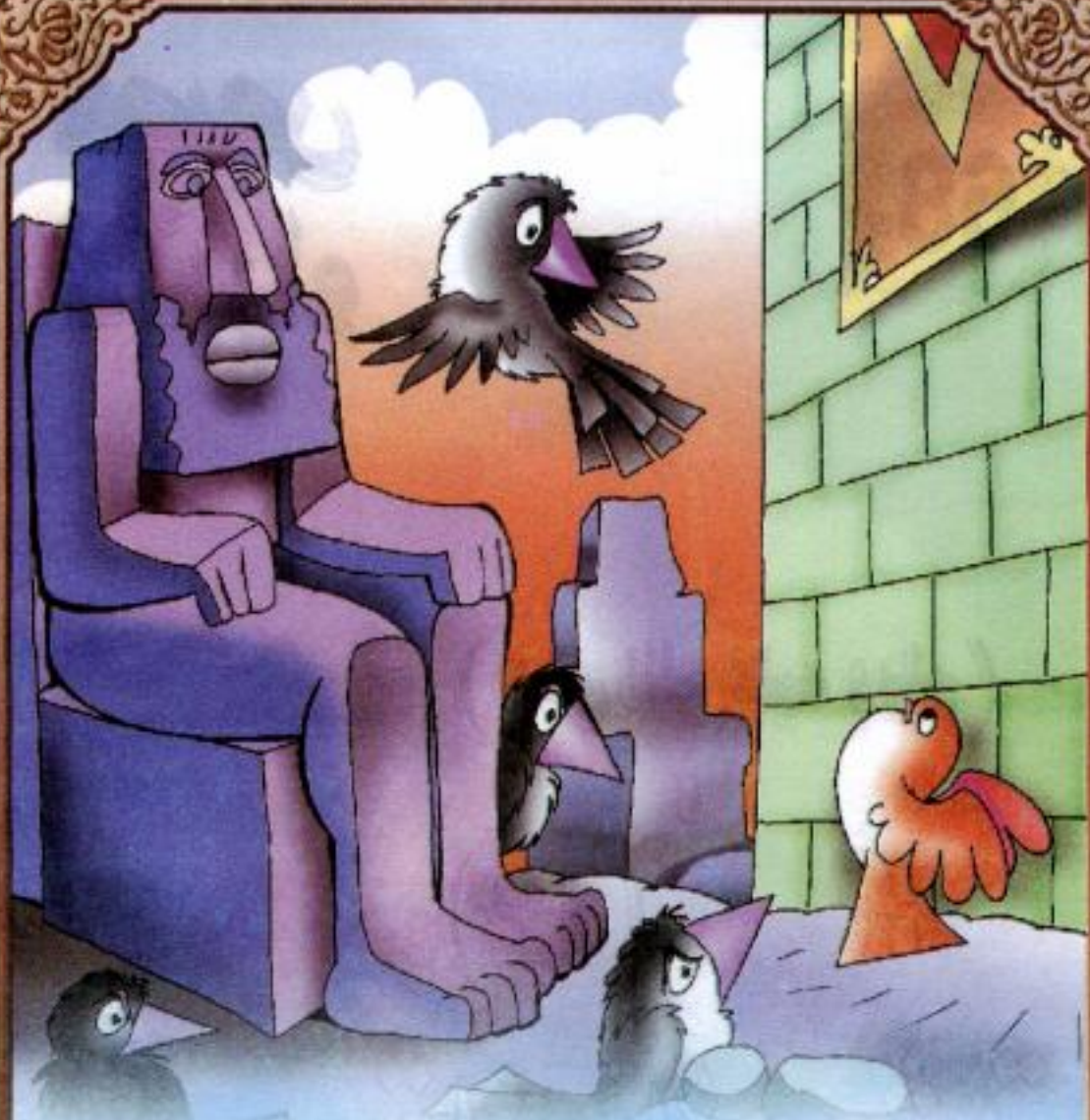
الهجرة إلى الحبشة

بقلم : ا. عبد الحميد عبد القصور

وسوم : ا. عبد الشافي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى





كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
 (ﷺ) ، الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ
 (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .. فَقَدْ اجْتَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)
 يَوْمًا ، فَقَالُوا :

- واللّٰهُ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذَا الْقُرْآنَ يَجْهَرُ

لَهَا بِهِ قَطُّ ، فَمَنْ يَسْمَعُهُمْ إِيَّاهُ ؟

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ :

- أَنَا أَسْمَعُهُمْ إِيَّاهُ ..

فَقَالُوا لَهُ :

- إِنَّا نَخْشَى عَلَيْكَ مِنْهُمْ .. إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ

عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ بِسُوءٍ ..

فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- دَعُونِي ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي مِنْهُمْ ..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ تَوَجَّهَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه)

إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَجَلَسَ يَقْرَأُ سُورَةَ الرَّحْمَنِ ، وَقُرَيْشٌ

جَالِسَةٌ فِي أُنْدِيَّتِهَا وَمَجَالِسُهَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فَلَمَّا

سَمِعُوا تِلَاوَتَهُ ، قَامُوا إِلَيْهِ وَأَخَذُوا يَضْرِبُونَهُ فِي وَجْهِهِ ،

وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي التِّلَاوَةِ ، حَتَّى أَصَابُوهُ بِالْجِرَاحِ فِي

وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَائِدًا إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا

رَأَوْا مَا حَدَثَ لَهُ ، قَالُوا :

— هذا الذي خَشِينَا عَلَيْكَ ..

فقال ابن مسعود (رضي الله عنه) :

— ما كان أعداءُ الله أهونَ على منهُم الآنَ ، ولئن

شَتَمَ لأَغَادِينَهُمْ غداً بِمِثْلِهَا ..

فقالوا له :

— حَسْبُكَ (هذا يكفي) قد أَسْمَعْتَهُمْ ما يَكْرَهُونَ ..

ولما رأت قريشُ نَفْسَهَا عاجِزةً عن النِّيلِ من رِسلِ

الله (ﷺ) ، بسَبَبِ مَنْعِ عمِّه أبي طالبٍ له ، وحمَايةِ

عَشيرَتِهِ ، انْقَضَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ من قريشٍ على مَنْ فِيهَا

من المُسلمين يَحْبِسُونَهُمْ عن الخُرُوجِ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) ،

ويعذِّبُونَهُمْ بالضَّرْبِ والجُوعِ والعَطَشِ ، وبالإلْقَاءِ

على صُخُورِ مَكَّةَ ورِمَالِهَا إذا اشْتَدَّ الحَرُّ ، حتَّى

يَفْتِنُوهُمْ عن دينِهِمْ ، ويرُدُّوهُمْ إلى الشِّرْكِ ، فمِنْهُمْ

مَنْ يَعِصِمُهُ اللهُ تَعَالَى مِنْهُمْ ، وَيُظِلُّ على الإسلامِ ،

ومِنْهُمْ مَنْ يَضَعُفُ بسَبَبِ ما يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنَ العَذَابِ ،

فَيَرْتَدُّ عن دينِهِ ..

وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ عَذَّبَهُمْ كُفَّارُ مَكَّةَ ،
وَاشْتَدُّوا عَلَيْهِمْ فِي الْعَذَابِ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ بِلَالُ بْنُ
رَبَاحٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ..

كَانَ بِلَالٌ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَبْدًا لِأُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى بِالْإِسْلَامِ ، فَكَانَ مُؤْمِنًا صَادِقَ الْإِيمَانِ ..



وكان سيده أمية بن خلف يكبله بالسلاسل ،
فإذا اشتد الحر ، أخرجَه فطرحَه على ظهره في
رمال الصحراء الملتهبه ، ثم يأمر بوضع صخرة
ضخمة على صدره ، ويقول له :
- لا تزال هكذا ، حتى تموت أو تكفر بمحمد ،
وتعبد اللات والعزى ..

فيقول بلال (رضي الله عنه) وهو في هذا البلاء :
- أحد .. أحد ..

وظل أمية على تعذيبه لبلال (رضي الله عنه) حتى مر به
أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ذات يوم وراهم يعذبونه ،
فقال لأمية بن خلف :

- ألا تتقى الله في هذا المسكين ؟ ! إلى متى
تعذبونه ؟ !

فقال أمية :

- أنت الذي أفسدته ، فأنقذه مما ترى ..

فاشتراه أبو بكر (رضي الله عنه) منه ، وأعتقه ، وكان قد

أَعْتَقَ قَبْلَهُ سِتَّةَ مِائَةِ أَرْقَاءَ ..

وقد صار بلال - فيما بعد - مؤذن الرسول (ﷺ) ..
وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر ،
وبأبيه وأمه ، إذا اشتد الحر ، فيطرحونهم أرضا ،
ويعذبونهم ..

وكان رسول الله (ﷺ) ، يمر بهم فيقول لهم :

- « صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » ..

وقد قتلوا سمية أم عمار ، لما رفضت أن ترجع عن
الإسلام ..

وقد كان أبو جهل هو أول من يحرض قريشا على
تعذيب أصحاب رسول الله (ﷺ) .. وكان إذا سمع
برجل أسلم ، وهو يعلم أنه شريف في قومه أنبه
وعاتبه قائلا :

- تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن عقلك ،
ولنحقرن رأيك ، ولنضعن شرفك ..
وإن كان الذي أسلم تاجرا قال له :

لَنُكْسِدَنَّ تِجَارَتَكَ ، وَلَنُهْلِكَنَّ مَالَكَ ..

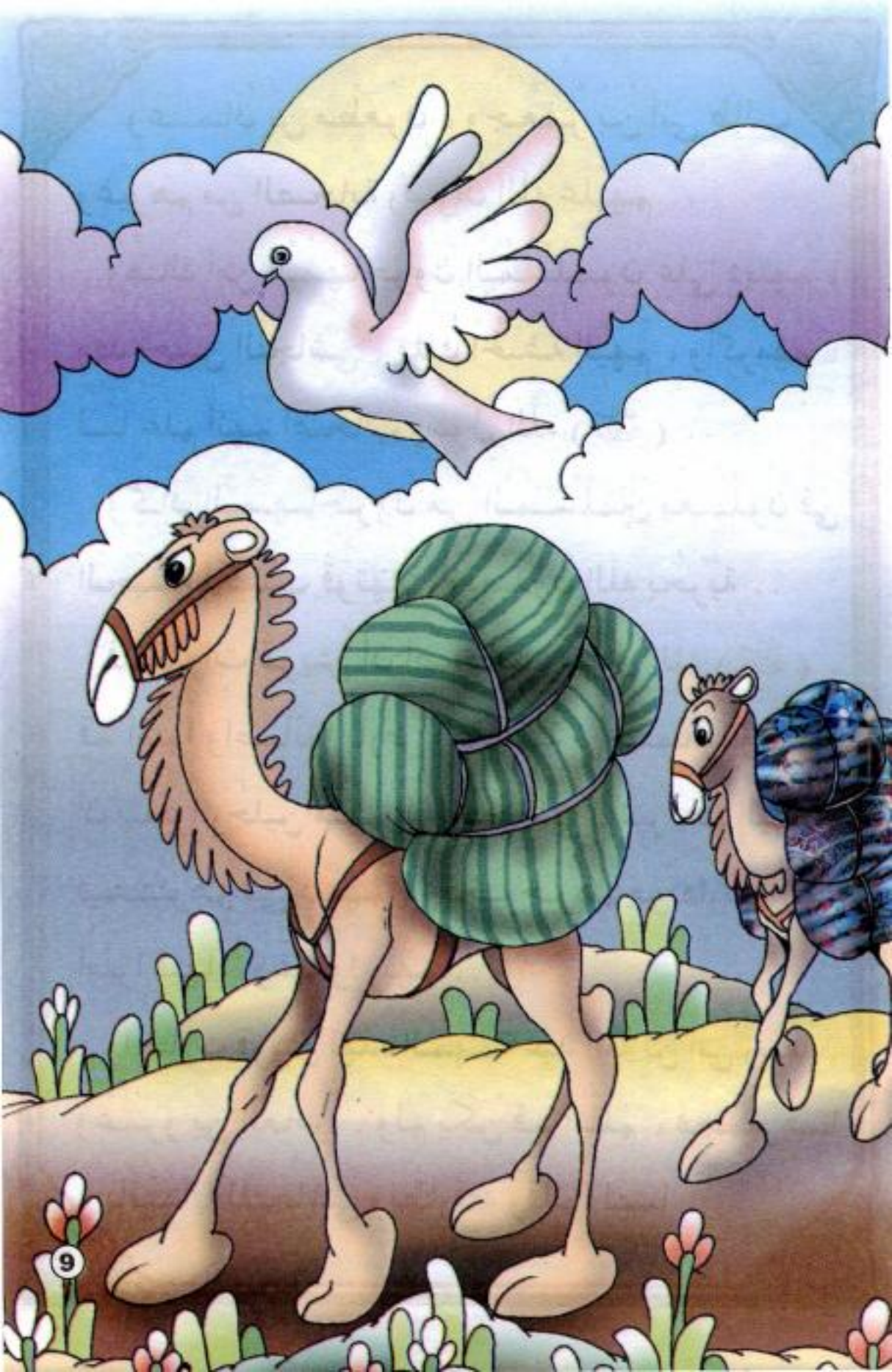
وَإِنْ كَانَ الَّذِي أَسْلَمَ ضَعِيفًا ضَرْبَهُ وَأَذَاهُ وَحَرَضَ عَلَيْهِ ..

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْأَذَى عَلَى أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الْأَذَى عَنْهُمْ ، قَالَ لَهُمْ :

« لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٌ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا ، مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ » ..

فَخَرَجَتْ مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، مُهَاجِرِينَ بِدِينِهِمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ..

وكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ هَجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ .. وَكَانَ مِنْ هَاجَرُوا عِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَزَوْجَتُهُ رُقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَأَبُو سَلَمَةَ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ ،



وعثمان بن مظعون ، وجعفر بن أبي طالب
وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ..
وهناك أمن المهاجرون المسلمون على دينهم ،
وقد أحسن النجاشي ، ملك الحبشة إليهم ، وأكرمهم ،
لما علم أنهم أصحاب رسول الله (ﷺ) ..
وكان المهاجرون من المسلمين يعملون في
الحبشة لكسب قوتهم ، ويعبدون الله بحرية ..
فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله (ﷺ) ،
قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، اجتمعوا وقرروا
أن يبعثوا رجلين منهم إلى النجاشي ، فيردّهم إليهم ،
ليفتنّوهم في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم التي
أمّنوا فيها ، وعبدوا ربّهم ..

واختارت قريش لهذه المهمة عبد الله بن أبي ربيعة ،
وعمر بن العاص ، ولم يكن قد أسلم ، فحملوهما
بالهدايا للنجاشي وبطارقته وقالوا لهما :

— قَدِّمًا لِكُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتُهُ ، قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ

النَّجَاشِيَّ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ قَدِّمًا إِلَى النَّجَاشِيِّ
هَدَايَاهُ ، وَاطْلُبَا مِنْهُ أَنْ يَسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ ، قَبْلَ أَنْ
يَكَلِّمَهُمْ ..

فَلَمَّا وَصَلَ عُمَرُو وَصَاحِبُهُ إِلَى الْحَبَشَةِ ، لَمْ يَتْرُكَا
بَطْرِيقًا إِلَّا قَدِّمًا لَهُ هَدِيَّةً ، وَقَالَا لَهُ :

— لَقَدْ جَأْنَا إِلَى بَلَدِكُمْ غُلَمَانًا مَنَا سَفَهَاءُ ، فَارْقُوا دِينَ
آبَائِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ
لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ ، وَقَدْ بَعَثْنَا أَشْرَافَ قَوْمِنَا إِلَى
النَّجَاشِيِّ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ ،
فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يَسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا ، وَلَا يَكَلِّمَهُمْ
أَوْ يَسْمَعَ مِنْهُمْ ..

فَكَانَ كُلُّ بَطْرِيقٍ يَعِدُهُمَا بِالْمُسَاعَدَةِ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ ،
ثُمَّ قَدَّمَ عُمَرُو وَصَاحِبُهُ عَلَى النَّجَاشِيِّ ، فَقَدِّمَا لَهُ هَدَايَاهُ
فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا .. ثُمَّ قَالَا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَا لِلْبَطَارِقَةِ ، وَاطْلُبَا
مِنْهُ أَنْ يَرُدَّ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ

اللَّهُ (ﷺ) إِلَى مَكَّةَ ..

وَقَالَتِ الْبَطَارِقَةُ مِثْلَ مَا قَالَ عَمْرُو وَصَاحِبُهُ ،
فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

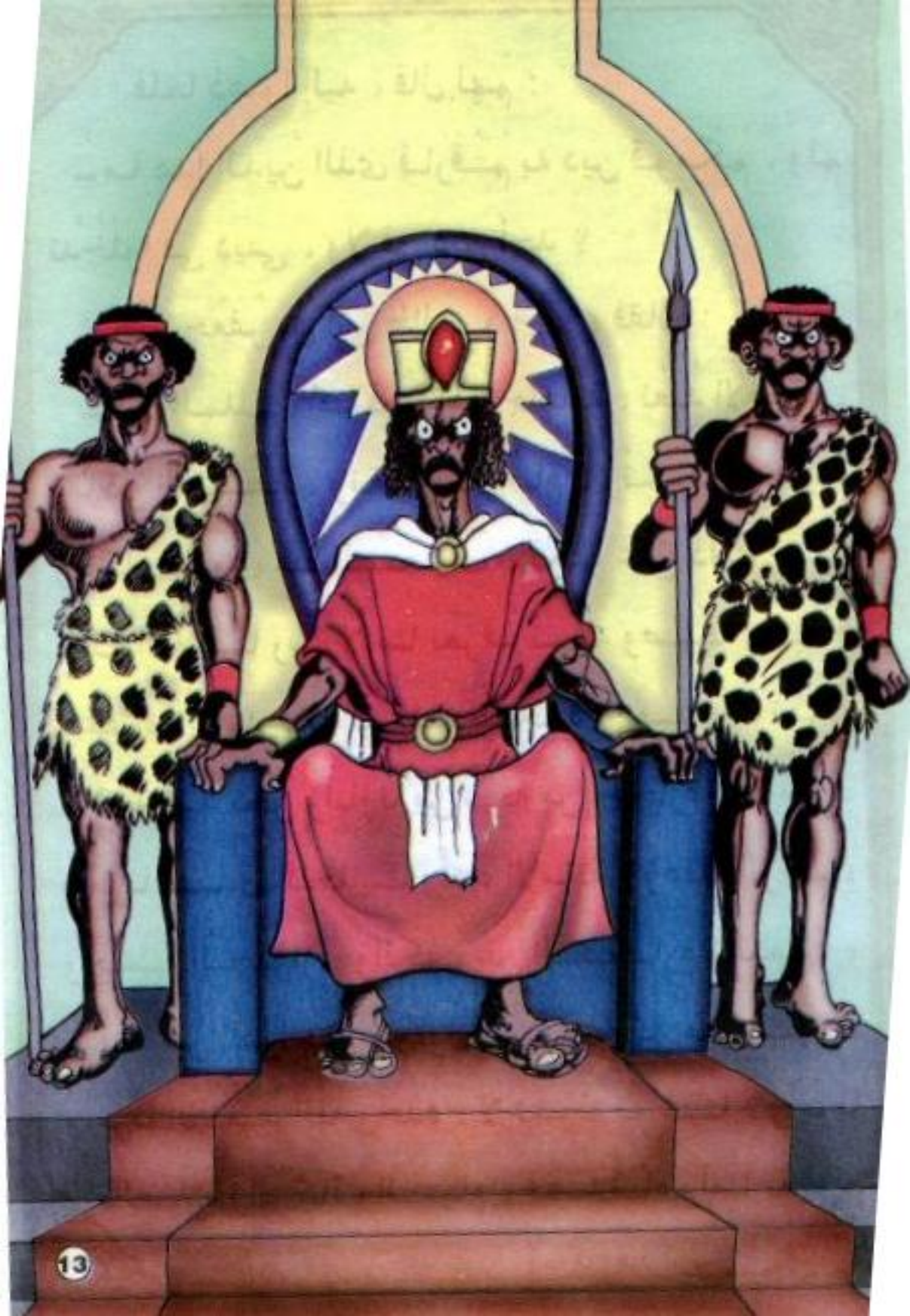
- لَا وَاللَّهِ ، لَنْ أَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا .. لَقَدْ نَزَلُوا بِلَادِي
وَجَاوَرُونِي ، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ .. لَنْ أُرْدَهُمْ
حَتَّى أَدْعُوهُمْ وَأَسْأَلَهُمْ عَمَّا يَقُولُ هَذَانِ الرَّجُلَانِ فِي
أَمْرِهِمْ ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا ،
وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ
مِنْهُمَا ، وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي ..

ثُمَّ أَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ،
مَنْ يَدْعُوهُمْ لِلْحَضُورِ إِلَيْهِ .. فَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ
الرَّسُولِ (ﷺ) ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

- مَاذَا نَقُولُ لِلنَّجَاشِيِّ إِذَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ ؟

فَقَالَ الْآخَرُونَ :

- نَقُولُ مَا عَلَّمَنَا ، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا (ﷺ) ،
وَلْيَكُنْ مَا قَدَرَهُ اللَّهُ لَنَا .



فلما ذهبوا إليه ، قال لهم :

- ما هذا الدين الذي فارقتم به دين قومكم ، ولم

تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد ؟

فتكلم جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقال :

- أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ،

ونأكل الميتة ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ،

ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى

بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته

وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونترك

ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ،

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ،

وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ،

ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ،

وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وأمرنا

بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدقناه وآمنا به ،

وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ
وَحْدَهُ ، فَلَمْ نَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، فَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ،
وَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا
عَنْ دِينِنَا ، لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، فَلَمَّا قَهَرُونَا
وَوَظَلَمُونَا ، خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ
سِوَاكَ ، وَرَغَبْنَا فِي جِوَارِكَ ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ
أَيُّهَا الْمَلِكُ ..

فَقَالَ لَهُ النِّجَاشِيُّ :

- هَلْ مَعَكَ شَيْءٌ مِمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ عَنْ اللَّهِ ؟ !

فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) :

- نَعَمْ ..

وَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ ، فَبَكَى النِّجَاشِيُّ ، حَتَّى
ابْتَلَّتْ لَحِيَّتَهُ ، وَبَكَى الْأَسَاقِفَةُ (عُلَمَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ)
حَتَّى ابْتَلَّتْ لِحَاهِمُ ، حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ جَعْفَرُ
مِنَ الْقُرْآنِ .. وَقَالَ النِّجَاشِيُّ :

- إِنَّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ عَيْسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مِشْكَاةِ

واحدة (يعنى أنه كلام الله تعالى) ..

ثم قال لعمرُو وصاحبه :

- انطلقا ، والله لا أسلمهم إليكما ..

فبهت عمرُو وصاحبه ؛ لأن سعيهما قد خاب ،
وخرجا من حضرة النجاشي ..

(يتبع)

رقم الإبداع : ٢٠٠٣/٥٤٤٣

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٢٦٦ - ٨٩٢

فصل الأنبياء

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(١٣)

إسلام عمر

• احرص على اقتنائه •